النشـــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٣ / ٢٠٠٠

الأحد ١٦ كانون الثاني

السجود لسلسلة القديس

بطرس الرسول الكليّ المديح المكرّمة

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الحادي عشر

الـــرســـالـــة (كولوسي ٣: ٤-١١)

الإنـــجـــيـــل (لوقا ١٧ : ١٢- ١٩)

+ البَرَص

كلمة "بَرَص" بحسب تقليد الكتاب المقدس (راجع لاويين ١٣ و ١٤) لا تشـــــير إلـــى مرض الجذام فقط، بل تُستخدم للدلالة على كافة الأمراض الجلدية بمـــا فيـــها كافـــة أنـــواع الصُّداف والوَضَح مرضان جلديَّان يتميزان بظهور بقع بيضاء على البشرة: "بَرَصُ نعمـــان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد. فخرج من أمامه أبرص كـــالثلج" (٢ ملـــوك ٥:٢٧) والقَـــرَع والقوباء واللمعة والجلد الناتئ (لاويين ١٣:٢). إضافة إلى هذه الأمراض البشـــرية يتحـــدث كتاب اللاويين عن بَرَص الثياب (لا ١٣:٤٧-٥٩) وبَـــرَص المـــنزل (١٤:٣٣-٥٧) وهمـــا عبارة عن ضربة (أو تآكل) في الثياب الصوفية أو الجلدية وبقع خضراء في حيطان المنازل.

هذه الأمراض مرتبطة بالنجاسة "فإن رأى الكاهن وإذا القوباء قد امتدت في الجلد يحكم الكاهن بنجاسته. إنها بَرَص" (لا ١٣:٨) و"كل الأيام التي تكون الضربة فيه يكون نجساً" (لا ٤٦:١٣)، وتتطلّب عزل المريض عن الناس لسبعة أيام (لا ٤:١٣) أو أكثر، وهناك طقوس خاصة وذبائح تطهير لعودة الأبرص إلى الجماعة (لا ١:١٤-٣٢).

عزل الأبرص لم يكن عزلاً كاملاً رغم أن سِفر اللاويين يذكر أنه "خارج المحلة يكون مقامه" (٤٦:١٣). نرى في العهدين القديم والجديد تعاطياً مع البُرص (٢ ملوك ٣:٧ ومرقس ٣:١٤ يسوع في بيت سمعان الأبرص)، ولا نقرأ عن ملاجئ أو أماكن خاصة لهم. إلا أن الأبرص كان يتميز عن الباقين بأن "تكون ثيابه مشقوقة ورأسه يكون مكشوفاً ويغطي شاربيه وينادي نجس، نجس" (لا ٤٥:١٣).

الشرائع المختصة بالبرص نجدها في الإصحاحين ١٣ و ١٤ من سِفْر اللاويين، حيث يُعطى للكهنة الخبرة والخلفية اللازمتين لاكتشاف المرض، ولكي يقرر الكاهن وحده ما إذا كان المرض برصاً أم لا. لذلك عندما شفى يسوع الأبرص طلب منه أن "اذهب أَرِ نفسك للكاهن وقدّم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم" (متى ٤:٨). نجد أيضاً في هذين الإصحاحين كافة الطقوس المطلوبة للتطهير بعد الشفاء من المرض، من أجل العودة إلى حياة الجماعة، وليس فيهما أية إشارة إلى النظافة الشخصية (hygiene) أو طريقة العلاج.

البُرصُ هم الأموات الأحياء. لحم الأبرص هو كلحم "الميت الذي يكون عند خروجه من رحم أمه قد أُكِل نصف لحمه" (عدد ١٢:١٢)، و"يأكل أعضاءَه بكرُ الموت" (أيوب ١٣:١٨).

بسبب خطورة المرض والحجر الذي يتطلبه ساد الاعتقاد في القديم أن هذا المرض ناتج عن خطايا الشخص، وأن البرص هو عقاب إلهي "فحمي غضب الله عليها ومضى، فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم (أخت موسى) برصاء كالثلج" (عدد ٩:١٢). الله وحده برحمته يشفي البرص. عندما ضرب البَرَص نعمان قال ملك إسرائيل (الذي لا نعرف اسمه) بعدما مزّق ثيابه: "هل أنا الله لكي أميت وأُحيي حتى إن هذا يرسل إلي أن اشفي رجلاً من بَرَصه" (٢ ملوك ٧:٥). وبما أن الله يعمل من خلال رجاله، والأنبياء هم رجال الله وأصفياؤه، لذلك قال النبي أليشع "ليأتِ (نعمان) إليّ فيعلم أنه يوجد نبي في إسرائيل" (٢ ملوك ٨:٥). ما يعني أن النبي بنعمة الله قادر على شفاء البرص. وهذا يتوافق مع إشارات الكتاب المقدس أن موسى وأليشع ويسوع وحدهم شفوا البرص. وكأن النبيين موسى وأليشع هما صورة رمزية في العهد القديم للنبي الأوحد يسوع المسيح في العهد الجديد الذي له السلطان على كل شيء.

الإنجيلي متى، وفي إطار محاولته أن يبرهن لليهود أن يسوع هو "النبـــي، المســيح المنتظر"، وضع عجيبة شفاء الأبرص على رأس سلسلة العجائب الواردة فـــي الإصحــاحين الثامن والتاسع من إنجيله. وهكذا يضمن متى سامعيه لأن من يشفي أبرص لا بد أن يكون من الله. ومن هذه العجيبة ينطلق إلى العجائب الأخرى ليبرهن أن يسوع هو ابن الله الذي له وحده السلطان.

ينفرد الإنجيلي لوقا وحده بقصة شفاء البرص العشرة (لوقا ١٧:١٢-١٩). لا مجـــال للشك بيسوع على أنه ابن الله. شفاء البرص مهم للإنجيلي لوقا الطبيب. فهو كطبيب يعلـــم أن لا دواء للبرص، وبالتالي يسوع قادر على شفاء البرص لأنه ابن الله.

لقد شفى يسوع عشرة برص. واحد فقط رجع ليشكره وكان سامرياً، أي ممن يعتبرهم اليهود من طبقة اجتماعية دنيا. أين التسعة الباقين؟ يعلّمنا النص الإنجيلي أربعة أمور مهمة:

١-واجب الشكر والامتنان لله على كل عطاياه، وأهمية تمجيد الله لأجل كل عطية صالحـــة يعطينا إياها. هل يشغل الشكر حيزاً مهماً في صلواتنا؟ أم أننا لا نعرف إلا الطلب دومـــاً دون الشكر. في الكلام الجوهري في القداس الإلـــهي يقـول الكـــاهن: "نشـــكرك علـــى الإحسانات الواصلة إلينا، التي نعلمها والتي لا نعلمها، الظاهرة وغير الظاهرة...". نحن لا نعي دوماً إحسانات الله وخيراته علينا، لذلك نشكره على الأشياء التي لا نعلمها لأننا على يقين أن الله "يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تيمو ٢:٤).

٢-الأشخاص الذين نظنهم أقل أهمية منا وأبسط ايماناً يرضون الله أكثر منا، كحال السامري المنبوذ من اليهود. فقد كان اليهود ينظرون إلى السامريين نظرة فوقية، أي يعتقـــدون أن اليهود أفضل من السامريين. لكن السامري وحده عاد ومجّد الله بصوت عال وسجد عنـــد قدمي يسوع وشكره. إن قلوب هؤلاء البسطاء تقدّر عطايا الله أكـــثر ممـــا نفعـــل نحـــن المتفلسفين على الله. "ألم يوجد من يرجع ليعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس" (لـــو ١٧:١٨).

٣-يظهر هذا النص ارتباط الإيمان بالشفاء: "رفعوا (البرص) صوتاً قائلين يا يسوع يا معلّـــم ارحمنا" (لو ١٧:١٣)، "قم وامضِ، إيمانك خلّصك" (١٧:١٩). بالإيمان القوي والاتكـــال الكلّي على الله يحصل الإنسان على نعمة الله. عندما مات ألعازر، أتى يسوع أخيراً، بعـــد أربعة أيام، إلى مرتا ومريم وسأل أن يدحرج الحجر عن باب قبر ألعازر. قالت مرتا "يـــا سيد قد أنتن لأنه له أربعة أيام. قال لها يسوع: ألم أقل لك إن آمنتِ ترين مجد الله" (يـــو ١١:٣٩-٤٠).

٤- أخيراً، البرص بحسب التقليد الكتابي كما ذكرنا أعلاه، مرتبط بالخطيئة والنجاسة. على هذا الأساس كلنا برص روحياً فهل يوجد بيننا من يصرخ "يا يسوع يا معلّم ارحمنا" (لو ١٣:١٧).

+ القديس مكسيموس المعترف

تعيِّد الكنيسة المقدَّسة في الحادي والعشرين من كانون الثاني لتذكار القديس البار مكسيموس المعترف الذي عاش في القرن السابع ودافع عن الإيمان القويم الذي هددته الهرطقات، وقاسى العذابات من أجل الحفاظ على هذا الإيمان، ولهذا لُقِّب بالمعترف.

وُلِد مكسيموس في القسطنطينية عام ٥٨٠، لعائلة متقدّمة في الشرف والغنى، وقد تربّى تربية لائقة ونجح في العلوم كافة، وفي الفلسفة والمنطق والخطابة خاصة، وكان منذ صباه يضاهي أعظم علماء عصره، مما دفع الملك هرقل أن يختاره ليكون أمين سرّه الأول. أفاض الله في قلب مكسيموس نعمه الإلهية فأدار ظهره لعظمة هذا الدهر ومجد العالم الباطل، وسعى وراء الأمور السماوية، فترهّب في دير والدة الإله في خريسوبوليس قرب القسطنطينية.

اختبر مكسيموس في الدير جميع أنواع الصيامات والتقشّفات، وكان يقضي معظم الليل في الصلاة. حارب الغضب بالوداعة، ومارس الصمت المقدس. وبعد عشر سنوات من العيش في المسؤولية انتقل مع تلميذ له للعيش في دير قريب في كيزيكوس، وهناك باشر كتابة أولى مؤلفاته عن الصراع ضد الأهواء، وعن الصلاة والمحبة المقدسة. غير أن هجوم الجيش الفارسي على القسطنطينية دفع الرهبان إلى الهرب، فذهب مكسيموس أولاً إلى كريت ثم إلى قبرص فقرطاجة (عام ٦٣٢)، وهناك قاوم القائلين بطبيعة واحدة إلهية في المسيح.

فمنذ ارتقاء الإمبراطور هرقل العرش، عام ٦١٠، حاول توحيد الإمبراطورية عبر توحيد المسيحيين. ولكي يتجنّب خروج المسيحيين من اتباع الطبيعة الواحدة على الإمبراطورية طلب من بطريرك القسطنطينية سرجيوس إعداد صيغة توافقية، فاقترح سرجيوس اعتبار طبيعة الرب يسوع البشرية منفعلة لا فاعلة، أي اعتبر المسيح بطبيعتين إلهية وبشرية إنما بإرادة إلهية فقط. قَبِل المصريون الصيغة الجديدة وعارضها البطريرك الأورشليمي ومعه مكسيموس، وشدّدا على أن المسيح بطبيعتين وإرادتين إلهية وبشرية. من أقوال مكسيموس: "إن المسيح يحقق بشرياً ما هو إلهي من خلال عجائبه، ويحقق إلهياً ما هو بشري من خلال آلامه المحيية".

استمر الصراع اللاهوتي بين الفريقين إلى أن أصدر الملك هرقل أمــراً عــام ٦٣٨، عُرف بالأكتيسيس، منع فيه الكلام عن الطبيعتين وفرض الاعتراف بإرادة واحدة في المسيح.

عارض مكسيموس القرار ولم يرضَ السكوت عن الخطأ، وجاهر بالحقيقة علناً أمــام الجميع، وراسل أسقف رومية والإمبراطور موضحاً لهما الإيمان القويم.

توفي الإمبراطور هرقــل وخــاف خليفتــه قســطنديوس أن ينشــق الغــرب عــن الإمبراطورية، خاصة بعد سقوط مصر في يد العرب، فأصدر مرسوماً، تيبوس، عــام ٦٤٨ حرّم فيه على كل مسيحي مناقشة موضوع الطبيعتين والمشيئتين (الإرادتيــن). لــم يذعــن مكسيموس للقرار وقصد روما والتقى بابا روما مرتينوس الأول الذي دعا إلى مجمــع فــي اللاتران عام ٦٤٩ أدان القول بالمشيئة أو الإرادة الواحدة. ولما وصلت أخبار المجمــع إلــى الإمبراطور أمر بإلقاء القبض على مكسيموس، فاقتيد مكســيموس مقيّــداً بالسلاســل إلــى القسطنطينية يصحبه اثنان من تلاميذه مقيّدان بالسلاسل مثله. وصلوا إلى القســطنطينية عــام ٦٥٣. عند وصوله عُرّي مكسيموس من ثيابه وجُرَّ في الشوارع وأُهين ثم طُرِح في الســجن ومُنِعَت عنه الزيارات. بقي في السجن أشهراً طويلة قبل أن يمثل للمحاكمة. فــي المحكمــة تعرّض للشتم والتهديد، وأورد الحاكم ضده تهماً كاذبة، إذ اتهمه بالتآمر على الدولــة ورمــي الشقاق في الكنيسة. أما هو فأجاب أنه لن يخون الإيمان حتى لو قطع من الشركة، فحُكم عليـه بالنفي إلى بيزيا في تراقيا حيث البرابرة الوثنيون، فعانى الأمرين في المنفى.

أرسل الإمبراطور عدداً من الرسل إلى مكسيموس في منفاه لإقناعه بقبول "التيبــوس" لكن مكسيموس ظل ثابتاً على موقفه ولم يتزحزح، بل أقنع الرسل بصواب رأيه. نقل الجنــد مكسيموس إلى دير ثاودورس قرب القسطنطينية، وأتى إليه رجلان من قِبَل الملك يحـــاولان إقناعه من جديد، فلم يفلحا. شتماه وضرباه وانصرفا دون أن يتراجع مكسيموس عن إيمانـــه الصلب.

بعدها أُحضِر مكسيموس أمام بطريرك القسطنطينية ومجمع الأساقفة، وكانوا كلهم من أتباع الإرادة الواحدة. وقف أمامهم ودافع عن الإيمان بطبيعتين وإرادتين بشرية وإلهيــة فــي المسيح. فلعنوه وأهانوه وأسلموه لحاكم المدينة الذي أمر بجلده وقطع لسانه ويــده اليمنــى أي العضوين اللذين بهما اعترف بإيمانه. ساقه الجند مدمّى في شوارع القسطنطينية وأودعوه قلعة في أقاصي القوقاز، وبقي هناك إلى أن أسلم الروح في ١٣ آب عام ٦٦٣ عن عمــر نــاهز الثانية والثمانين.

بعدما تولى الإمبراطور قسطنطين الرابع مقاليد الحكم تولد لديه الإقتناع بعدم جــدوى ما يُبذل من تنازلات من أجل الوحدة مع أتباع الطبيعة الواحدة، فدعا إلى مجمــع مســكوني

(السادس) التأم في القسطنطينية عام ٦٨٠ وحضره أكثر من ١٧٠ أسقفاً، بينهم بطاركة القسطنطينية وإنطاكية وممثلون عن روما والإسكندرية وأورشليم. فثبّت المجمع رأي القديس مكسيموس المعترف وقطع من الشركة كل القائلين بالإرادة أو المشيئة الواحدة. وأنهى المجمع أعماله بالإعلان: "نصرّح أن في المسيح مشيئتين طبيعيتين وفعلين طبيعيين بلا انقسام ولا تغيّر ولا تجزؤ ولا اختلاط، وليست المشيئتان متضادتين، بل المشيئة البشرية تتبع بلا مقاومة ولا تلكؤ وتخضع لمشيئته الإلهية القادرة على كل شيء".

هكذا أعادت الكنيسة الاعتبار للقديس مكسيموس المعترف الذي وقف وحده مدافعاً عن الإيمان أمام الجميع دون خوف، وبقي وحيداً، لكن الله كان معه وهو جالس الآن عن يمين الآب في ملكوته.

فبشفاعته اللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ خطاب آباء المجمع المسكوني السادس للإمبراطور

"... ولكن بما أن إبليس العدو لا يسمح بالراحة، فقد أهاج حتى خدام المسيح، كأنهم متقلّدون الأسلحة... (وهنا يعدّد المبتدعين بأسمائهم وأنواع بدعهم وأحكام المجامع الخمسة السابقة ضدهم) ولهذا حملت الضرورة جلالتكم المحبوبة من الله إلى دعوة هذا المجمع وأعضائه العديدين.

واذ ألهم الروح القدس الجميع واتفقت كلمتهم وأعلنوا موافقتهم على رسالة الجزيل الطوبى والشرف البابا اغاثوس التي أرسلها إلى عظمتكم، وعلى ما وضعه مجمع الآباء الـ ١٢٥ المقدس الذي عُقد برئاسته، فنحن نعلم ان أحد أقانيم الثالوث الأقدس ربنا يسوع المسيح قد تجسد ويجب أن يُقدّم له الإكرام بطبيعتين تامتين بدون انقسام وبلا اختلاط لأنه، وهو الكلمة، مساوٍ لله أبيه في الجوهر والأزلية، وهو بتجسده من الكلية الطهارة مريم العذراء والدة الإله إنسان تام مساوٍ لنا في الطبيعة وصار في زمن معين. فنحن لذلك نصرّح بأنه تام في اللاهوت وانه هو نفسه تام كذلك في الناسوت حسب تقليد الآباء القديم وتحديد المجمع الخلقيدوني.

وكما نعترف بطبيعتين هكذا نعترف بمشيئتين طبيعيتين وفعلين طبيعيين. لأننا لا نجسر أن نقول أن إحدى طبيعتي المسيح في حال تجسّده هي بدون مشيئة أو فعل، لئلا بنفينا خواص الطبيعتين ننفي الطبيعتين نفسيهما. ولا ننكر مشيئة ناسوته ولا فعله الطبيعيين لئلا ننكر هكذا الشيء الرئيسي في سر تدبير خلاصنا ولئلا ننسب الآلام إلى اللاهوت. وهذا ما كان يحاوله الذين ادخلوا مؤخراً البدعة المكروهة في أن ليس فيه إلا مشيئة واحدة وفعل

واحد، مجددين بذلك خباثة آريوس وابوليناريوس وافتيشيوس وسفيروس. لأننا لو قلنا أن طبيعة ربنا الناسوتية هي بدون مشيئة وفعل فكيف يمكن أن نؤكد بوجه سليم معقول كمال ناسوته؟ لأنه ليس من شيء آخر يدل على كمال الطبيعة البشرية كمشيئتها الطبيعية التي تظهر قوة حرية الإرادة فينا. وهكذا القول أيضاً في فعل الطبيعة، اذ كيف يمكن أن ندعوه تاماً في الناسوت إذا لم يتألم ولم يعمل أبداً كإنسان؟ فكما يحفظ اتحاد الطبيعتين كائناً واحداً بدون اختلاط وبلا انقسام، هكذا يظهر هذا الكائن الواحد نفسه بطبيعتين في تمثيله ان ما يختصّ بكل منهما يختص به أيضاً.

لذلك نعلن ان فيه مشيئتين طبيعيتين وفعلين طبيعيين صادرين بالاشتراك وبدون انقسام. لكننا ننبذ من الكنيسة تحت حكم الابسال كل البدع الزائدة ومخترعيها... وكل الذين علّموا أو يعلّمون أو سيحاولون التعليم بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح المتجسّد."

عن مجموع الشرع الكنسي

+ إخلعوا الإنسان العتيق

إن كان هناك بينكم عبد للخطيئة، فليستعدّ بالإيمان للميلاد الثاني الحرّ في التبنّي؛ وهو بعد تحرّره من أسوأ العبوديات، وهي عبودية الخطيئة، وحصوله على عبودية الرب الطوباوية، يصبح أهلاً لميراث ملكوت السموات. "فاخلعوا إذاً الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور، والبسوا الإنسان الجديد الذي يتجدّد للمعرفة على صورة خالقه" (أف ٤:٢٢-٢٤؛ كو ٣:١٠). اقتنوا عربون الروح (٢ كور ٥:٥) بالإيمان، حتى يقبلوكم في المظالّ الأبدية (لو ٩:١٦). اقتربوا بإيمان من الختم السرّي حتى يعرفكم الرب وتُحصَوا بين قطيع المسيح المقدس الروحاني، وتجلسوا عن يمينه وترثوا الحياة المعدّة لكم. أما هؤلاء الذين لا يزالون متمسّكين بخطاياهم، فسوف يكونون عن يساره (متى ٢٥:٣٣)، لأنهم لم يقتربوا من نعمة الله التي يمنحها المسيح في غسل الميلاد الثاني. اني لا أتكلّم عن الميلاد الثاني للأجساد، بل عن الميلاد الثاني الروحي للنفس. ان الأجساد يلدها والدانا المنظوران، ولكنّ الأرواح تولد ميلاداً ثانياً بالإيمان. "لأن الروح يهبّ حيث يشاء" (يو ٣:٨) وعندئذ تسمعه إن كنت تستحقّه، "أيها العبد الصالح الأمين" (متى ٢٥:٢١)، متى وُجدت بلا لوم الضمير.

إذا كان أحد بين الحاضرين يأمل أن يجرّب النعمة، فهو يخدع نفسه لأنه يجهل قوّتها. لتكن نفسك صادقة، أيها الإنسان، من أجل الذي يفحص القلوب والكلى (مز ٧:١٠). وكما ان

الذين ينوون القيام بحملة عسكرية، يفحصون أعمار الجنود ولياقتهم البدنية؛ كذلك الرب الـذي يجنّد الأرواح، يختبر الإرادات. فإذا تصرّف أحد برياءٍ خفيّ، فهو يُرفض على أساس أنه غير صالح فعلاً لخدمته. أما الذي رأى بالعكس أنه جدير بالاستحقاق، فهو يمنحه في الحال نعمتـه "لأنه لا يعطي الأقداس للكلاب" (متى ٧:٦). ولكن من رأى فيه إرادة حسـنة، فإنـه يعطيـه العلامةَ الخلاصية العجيبة التي يرتعد منها الشياطين ويعرفها الملائكة؛ فيهرب منه الأولـون ويلتفّ حوله الآخرون. ولذلك يليق بالذين يتقبّلون هذا الختم الروحـي المخلّـص أن يكـون ضميرهم لائقاً به. وكما أنّ القلم والسهم ضروريان للذي يستخدمهما، كذلك النعمة ضروريـة للمؤمنين.

أنت لا تتقبّل درعاً فاسداً بل درعاً روحياً. أنت الآن في حديقة روحية (رؤيـا ٢:٧)، وتتلقّى اسماً جديداً لم يكن لك من قبل (رؤيا ٢:١٧). أنـت كنـت تُدعـى موعوظـاً، والآن "مؤمناً". أنت الآن في بستان زيتون روحي، أُخذت من زيتونة بريّة وطعّمـت فـي زيتونـة روحية (رو ١١:٢٤)، ومن خاطئ أصبحت باراّ، ومن الأدناس انتقلت إلى الطهارة. أنت الآن شريك في الكرمة المقدّسة (يو ١٥:١، ٤، ٥)، وإن ثبّت في الكرمة تنمو كغصن مثمر؛ ولكـن ان لم تثبت فيها فستلقى في النار. فلنأتِ إذاً بثمار لائقة. وليت لا يحلّ بنا بسبب عقمنا ما حـلّ بشجرة التين التي لعنها المسيح عند مروره بها (متى ٢١:١٩)، وليت يُطبّق علينا هذا القـول: "أما أنا فكالزيتونة الغضّة في بيت الله مدى الدهر وإلى الأبد" (مز ٥١:١٠)، لا زيتونة ماديـة بل روحية تشعّ نوراً. على الله أن يزرع ويسقي (١ كور ٣:٦)، وعليك أنت أن تأتي بثمـار. على الله أن يمنح النعمة، وعليك أنت أن تتقبّلها وتحتفظ بها. لا تحتقر النعمة لأنها مجّانيـة، ولكن تقبّلها وحافظ عليها بتديّن.

القديس كيرلّس الأورشليمي